﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٠ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات: 159 - 163]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مزاعمُ الباطل تـرُدُّهـا كلمات الحقِّ

لمّا ذكرتِ الآيات السّابقة ما زعمه المشركون المفترون على الله ﷻ من نسبةِ المخلوقين له، وأنَّ هذا القول هو الَّذي دعاهم إلى عبادة الجنِّ وعبادة الأصنام الَّتي سوَّلها لهم الشَّيطان؛ ناسب بعد ذلك بيانُ تنزيهِ الله سبحانه عن هذا الإفك العظيم، وعن كلِّ نقصٍ يَدَّعون، وأنَّ غيرَه لا يقدر أن يخالفَ مشيئته الكونيَّة، ولا إرادتَه في الخليقة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: (خلص) أصل واحد مُطَّرِد، وهو تنقيةُ الشَّيءِ وتهذيبُه، يقولون: خَلَّصْتُهُ مِن كذا، وخَلَصَ هو[1]، والخالِص كالصّافي إلّا أنَّ الخالِص هو ما زال عنه شَوْبُهُ بعد أن كان فيه، والصّافي قد يقال لما لا شَوْبَ فيه، فحقيقةُ الإخلاص: التَّبرّي عن كلِّ ما دون الله تعالى[2]، ومن معنى جَعل الشيء خالصًا صافيًا ورد كل (مخلِص) و(مخلِصون) بكسر اللام، أي: المَوَحِّدين الذين أخلصوا دينَهم لله، وأمّا بفتح اللام؛ فهُم الَّذين أخلصهم الله لرسالته، وهذا معنى كُلِّ المخلَصين في القرآن[3]، وكلا المعنيين مقصودٌ في الآية، فقد وردت القراءة بفتح اللّام وبكسرها[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).
(2) الراغب، المفردات: (خلص).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلص).
(4) ابن الجزري، النشر: 02/ 295.

2) ﴿بِفَتِنِينَ﴾: (فتن) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى ابتِلاءٍ واختِبارٍ[1]، ويُسمَّى الصّائغُ الفتّانَ[2]، وأصلُ الفِتنة: إدخالُ الذَّهبِ النّارَ للتَّصْفيةِ، يُقال: فتنْتُ الذَّهبَ، أي: اختبرْتُه بالنّار، ثمَّ استُعير لكلِّ اختبارٍ بأمرٍ محضٍ[3]، وسُمّيَ الكفرُ فتنةً؛ لأنَّ الكُفرَ إظهارُ الفساد عند الاختبارِ[4]، وقال الماورديُّ: وإنَّما سُمّي الكفرُ فتنةً؛ لأنَّه يُؤدّي إلى الهلاك كالفِتنة[5]، ومعنى الفاتن في هذه الآية: المُضِلُّ والمُفسِد، الَّذي يحمل غيرَهُ على الفتنة والكفر[6].

3) ﴿صَالِ﴾: الصّادُ واللّامُ والحَرفُ المُعتَلُّ أصلٌ يدلُّ على النّار، وما أشْبَهَها مِنَ الحُمَّى، ومنه قَولُهُم: صَلَيْتُ العودَ بِالنّارِ، والصَّلَى صَلَى النّارِ، واصطَلَيْتُ بِالنّارِ، والصِّلاءُ: ما يُصْطَلَى بِهِ وما يُذْكَى بِهِ النّارُ ويوقَدُ[7]، وأصلاهُ النّارَ، وصَلاهُ صَلْيًا أدْخَلَهُ إيّاها، وأثْواهُ فيها، وأصلُ الصَّلى لإيقادِ النّارِ، والمَعْنى هُنا: نُدْخِلُهُ فيها، فَيُلاقي حَرَّها وشِدَّتَها[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الهُدى والضَّلال بيد ذي الجلال وحده

ينزِّهُ اللّه نفسَهُ في هذه الآيات عمّا لا يليق بجلالهِ من افتراءِ المشركين، لكنَّ عبادَ اللّه حقَّ العبادة، الَّذين يوحِّدون اللّه، ويُخلِصون عبادتهم له، ولا يشركون به فيها شيئًا: لا يصِفونه إلّا بما يليقُ بهِ، وكذلك عبادُ اللّه الَّذين اصطفاهم لحمل الرِّسالة، والَّذين اختارهم لتوحيدِهِ واتِّباع رسلهِ، ينزِّهونه عن كلِّ نقصٍ وافتراءٍ؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتن).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (فتن).
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/ 405.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/ 625.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/ 251.
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 135.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلي).
(8) الخليل، العين: (وصل)، وابن مَنْظورٍ، لِسانُ العَرَبِ: (صلا)، والسَّمينُ، عُمدَةُ الحُفَّاظِ: (صلي)، والزَّبيديُّ، تاجُ العَروسِ: (صلي)، والرّاغِبُ، المُفرداتُ: (صلا).

فلذلك إنَّكم - أيُّها المشركون بالله - وما تعبدون من دون الله مِن آلهة، ما أنتم بمضلّين الَّذين أخلصَهم اللهُ لعبادته وتوحيده، ما أنتم بمضلّين أحدًا إلّا مَن قدَّر الله ﷻ عليه أن يَصْلَى الجحيمَ لكفرهِ وظلمهِ، فإنَّ الأمر بيد الله وحده[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى لفظ ﴿سُبْحَٰنَ﴾:

سبحان اسم مصدرٍ وهو علمٌ على التَّنزيه

ورد في قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ استعمالُ لفظ ﴿سُبْحَٰنَ﴾؛ للدَّلالة على تنزيه الله ذي العظمة المطلقةِ، و﴿سُبْحَٰنَ﴾ اسمُ التَّسبيح، وهو اسمُ مصدرِ (سَبَّحَ) المضاعف، وليس مصدرًا؛ لأنَّه لم يجئ على أبنية مصادر الرُّباعيِّ، وقيل: هو مصدر (سبح) مخفَّفًا بمعنى (نزَّه)، فيكون كالغُفران والشُّكران والكُفران من غفر وشكر وكفر، وقد كثُر استعمالُهُ منصوبًا على المفعوليَّة المطلقة بإضمار فعله كـ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 23]، وهو مصدرٌ منصوبٌ على أنَّه بدلٌ من فعله، وأصل الكلام: (أُسَبِّحُ اللهَ سبحانًا)، فلمّا عوِّض عن فعلهِ؛ صار: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بإضافته إلى مفعوله الأصليِّ، وهو ممنوعٌ من الصَّرف للعلميَّة وزيادة الألف والنّون[2]، قال سيبويه: "وأمّا ترْكُ تنوين (سبحان)؛ فلأنَّه صار عندهم معرفة"[3].

دلالةُ استعمال الحرفِ (عن):

كلُّ نقيصةٍ فهي بعيدة عن ذي الجلال والعظمة

جاء الحرف (عن) مُدغَمًا في (ما) من قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وقد أفاد الحرفُ (عن) المجاوزةَ، فهو بمعنى (بَعُدَ)[4]، ومعنى البُعدِ مناسبٌ لسياق الآية من تنزيه الله ﷻ وعلوِّهِ وبُعدِه عنِ الَّذي وصفه به المشركون مِن الولادة واصطفاء

(1) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 452.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 414.
(3) سيبويه، الكتاب: 1/ 324.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 58.

البنات، وهو أيضًا إبعادٌ للفكر والتَّأمُّل عن ساحة النَّقص التي جعلها أولئك الجهلةُ لله ربِّ العالمين، فإذا سبَّح العبدُ، ونزَّه مولاه؛ ابتعدَ عن كلِّ نقصٍ.

نوعُ (ما) ودلالتها:

احتمالُ المصدريَّة والموصوليَّة جمعًا بين الثَّبات والتَّجدُّد

تحتمل أداة (ما) في قول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أن تكون مصدريَّةً، والتَّقدير: (ﷺ عن وصفهم الجاهليِّ في حقِّ الله)، ويجوز أن تكون مَوصولةً بمعنى الَّذي، والعائدُ محذوفٌ، أي: (سبحان الله العظيمِ عنِ الذي يصفونه من الأقوال الباطلة)، وكيف يشركون بالخالق سبحانه بعضَ خلقهِ، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، واحتمال (ما) للمصدريَّة يُلحَظ فيه جانب الاسميَّة والثَّبات، كما أنَّ احتمال (ما) للموصوليَّة يُلحَظ فيه جانب الفعليَّة والتَّجدُّد، وكلاهما يتناسب مع واقعهم الجاهليِّ الشِّركيِّ، فإنَّ اعتقادَهم كان عن عنادٍ وإصرارٍ، وكانوا مستمرّين في ادِّعائه والدِّفاع عنه.

دلالةُ التَّعبير بصيغة المضارع:

المداومةُ على الأوصاف الباطلة يستلزم التَّشنيعَ والتَّقريع

جاء التَّعبير بصيغة المضارع في قول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ وصفَهم لم يصدُر مرَّةً واحدة، بل كان متجدِّدًا مستمرًّا، ففيه دلالةٌ على تجدُّد صدور تلك المقالات الشَّنيعة عنهم واستمرارهم في كفرهِم[1]، وهو ما يزيد مِنَ التَّشنيع عليهم، وإقامةِ الحجَّة عليهم في كونهم سلكوا طريقَ الباطل، وداوموا عليه.

نكتةُ حذف مفعول ﴿يَصِفُونَ﴾:

كلُّ ما صدر عن المشركين من الباطل فالله منزَّهٌ عنه

جاز حذفُ مفعول الفعل ﴿يَصِفُونَ﴾ في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بدلالة قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عليه، أي: (سبحان الله عمّا يصفه به المشركون)، وحُذِف الضَّميرُ إيجازًا للعلم به، فإنَّ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 95.

الكلام في هذه الآيات كلِّها مُتعلِّقٌ بشؤون الله تعالى[1]، أو ليشمل كلَّ وصفٍ باطل ممّا ذُكِرَ في السياق، وممّا قالوه في غالب شأنِهم.

بلاغةُ جملةِ الاعتراض:

التَّنزيهُ وقع بين ذمِّ المشركين ومدح المؤمنين

جاء قولُ الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ اعتراضًا بين جملة الإخبار عن علم الجِنَّة بعذاب المفترين يوم القيامة، وبين استثناء عبادِ الله المخلصين، وذلك أنَّ الاعتراض بين الجملتَين أفاد تنزيهَ الله تعالى عن أعمال المشركين قبل استثناء العباد المخلصين من ذلك؛ ذمًّا لصنيع المشركين، ومدحًا للعباد المخلصين، وللإيماء بأنَّ التَّنزيهَ واقعٌ لدى العباد موقعَ القبول والعمل.

نوعُ الاستثناء وغرضه الدَّلاليُّ:

المخلصون يَنجون من باطل الدُّنيا، فيَنجون من عذاب الآخرة

يحتمِل الاستثناءُ في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ وجوهًا من حيثُ الاتِّصال والانقطاع، فقد يكون استثناءً متَّصلًا من المحضرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾، أي: إنَّهم ناجون مِنَ العذاب الذي سيلحق المحضرين، ويكون الاستثناءُ مُرشِّحًا لأنْ يكونَ معنى الإحضار للعذاب، لا لمُطلَق الحضور، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾ [مريم: 72]، وقيل: هو استثناءٌ متَّصلٌ من ضمير الجعل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗا﴾، وقيل: هو استثناءٌ منقطعٌ من المحضرين، أو مِن ضمير الجعل، أو مِن ضمير الوصف في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ومعناه: (ولكنَّ المخلصين بُرَآءُ مِن أن يصفوه بذلك)[2].

ولا مانعَ مِن أن يكونَ الاستثناءُ شاملًا للأمرين في الدَّلالة العامَّة، لا في الاستثناء الصناعيِّ، فإنَّ عباد الله تعالى مُستثنَون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 192.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 360، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 188.

مِن أن يصدُرَ عنهم الباطل، فهُم لذلك مُستثنَون من أن يكونوا من أهل النّار والعذاب، فإذا كانوا بعيدين عن مثل هذا الوصف، فهُم أبعدُ من دخول النّار وحضور العذاب.

دلالةُ التّعبير بالعباد:

(العباد) مُشعرٌ بالخصوصيَّة والحظوة، بخلاف دلالةِ (العبيد) على العموم

استعمل النَّظمُ الكريم صيغة الجمع ﴿عِبَادَ﴾ دون (عبيد) في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ - وهو جمع عَبْدٍ كالعبيد - لما فيها من الإشعارِ بالخصوصيَّة، فإنَّ غالب استعمال صيغة (العباد) في القرآن يُشعر بخصوصيَّة العباد، سواءً في الدُّنيا أم في الآخرة، وأنَّ لهم شأنًا، بخلاف العبيد، فلا يُلحَظ فيهم هذا، بل يُلحظ فيهم معنى كونهم عبيدًا لله تعالى اختيارًا أم إجبارًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: 46].

نكتةُ الإضافة في ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾:

تشريفُ عباد الله المخلصين، بإضافتهم إلى ربِّ العالمين

دلَّت الإضافةُ في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ على معنى الاختصاص، لإفادة تشريفِهم باختصاصهم عبادًا له سبحانه دون غيره، واختصاصهم أيضًا دون سائر المخلوقات بكونِهم عبادًا له، والمعنى: (إلّا العبادَ المشرَّفين المكرَّمين المعظَّمين بإضافتهم إلى اسم الله)[1].

بلاغةُ التَّعريض بـ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾:

شرطُ القَبول إخلاصُ النّيَّة لله، وخلاص العمل من الشِّرك

يرجع أصل مادَّة (خلص) إلى تَنْقية الشَّيءِ وتَهذيبه[2]، وقد جاء الإخلاصُ في قول اللهِ تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ من معنى جَعل الشَّيء خالصًا صافيًا، وهو على قراءة (المخلِصين) بكسرِ اللّام[3] اسمُ فاعل، أي: (المُوَحِّدين الذين أخلصوا دينَهم لله)، فحقيقةُ الإخلاص التَّبرّي من كلِّ ما دون الله تعالى، وجاء استعمالُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 59.
(2) الراغب، المفردات: (خلص).
(3) ابن الجزري، النشر: 02/ 295.

هذه المفردة في هذا السّياق؛ لبيان أنَّ شرط قَبول العبد هو الخلاص من الشِّرك، وإخلاص النّيَّة لله تعالى، وأنَّ إيمان العبد لا يُقبَل إلّا بالنّيَّة الخالصة، والأعمال المخلصة، ففيه تعريضٌ بالمشركين، الَّذين لم يُخلصوا نيّاتِهم، ولم يُخلِّصوا أعمالهم وأقوالهم من الشِّرك.

بلاغةُ الفاء الفصيحة:

ترتيبُ العذابِ على العلم بالحقِّ ومخالفته

الفاءُ في قول الله تَعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ هي الفصيحة، وهي الَّتي تفصح عن جوابِ شرطٍ مقدَّرٍ، والتَّقدير: (إذا علمتم أنَّ عبادَ الله المخلصين مُنزَّهون عن مثلِ قولكم، فإنَّكم لا تفتنون إلّا مَن هو صالي الجحيم)[1]، وتأتي بلاغة الفصيحة في كون تعذيبِ المشركين مترتِّبًا على عِلمهم أنَّ هناك عبادًا مخلصين لله تعالى، سيَنجون باعتقادهم للحقِّ، فهي مقابَلةٌ لبيان مآل الحقِّ ومُنتهى عمل الباطل.

معنى واوِ ﴿وَمَا﴾:

تنوُّع التَّوجيهِ الدَّلالي بتنوُّع حروف المعاني

تحتمل الواو في قَوْلِ الله تَعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ العطفَ والمعيَّة، فعلى العطف يكون المعنى: (فإنَّكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعًا بفاتنين إلّا أصحابَ النّار، وعلى المعيَّة تكون الواو بمعنى (مع)، والمعنى: (فإنَّكم مع ما تعبدون)، أي: (فإنَّكم قرناؤُهم وأصحابُهم، لا تبرحون تعبدونها)، وعلى هذا الوجه يجوز أن يوقَفَ على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ سدَّ مسدَّ الخبر[2].

نكتةُ التَّعبير بالموصول:

تقريعُ المشركين بإقامة الحجَّة عليهم

آثرَ النَّظم استعمال الاسم الموصول في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ دون الاسم الظّاهر، فلم يقل: (فإنَّكم ومعبوديكم)[3]، وذلك لتقريع المشركين بما في حيِّز الصِّلة، وهو عبادة غير الله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 188.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 65.
(3) درويش، إعراب القرآن: 08/ 318.

والإشراك به بعضًا من المخلوقات العاجزة عن أدنى الأمورِ، فذمَّهم بذلك مِن أوَّل الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: 5]، فإنَّ مَن يعبد المعذَّب في النّار؛ فإنَّه واقعٌ في منتهى الاحتقار.

دلالةُ التَّعبير بالمضارع:

جاء فِعْلُ العبادةِ في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بِصيغَةِ المضارع؛ للدَّلالة على أنَّ عبادتهم للأوثان مستمرَّة متجدِّدة، ممّا يزيد مِن تشنيعِهم وتقريعهم بذمِّ أفعالهم الدّائمة.

نكتةُ حذف مفعول ﴿تَعْبُدُونَ﴾:

حُذِفَ مفعولُ فعلِ العبادة من قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ على سبيل الإيجاز اللَّفظيِّ، وتكثيرِ المعاني بإرادة العموم، فيشمل كلَّ المعبودات الَّتي اتَّخذها المشركون آلهةً من دون الله تعالى.

علَّةُ فصل جملة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾:

تـنـوُّعُ المعـاني الدَّلالية بتنوُّع الأوجه الإعرابيَّة

قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾ إمّا أن يكونَ خبرَ (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، وذلك على جعل واوِ ﴿وَمَا﴾ عاطفةً، و(ما تعبدون) معطوفةً على اسم (إنَّ)، فتكون جملة: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾ خبرَ (إنَّ)، والمعنى: (إنَّكم ومعبوديكم ما أنتم بمضلّين أحدًا إلّا مَن قدَّر الله عليه الضَّلالَ).

وإمّا أن تكون جملةُ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾ استئنافيَّةً، وذلك على القول بأنَّ واوَ ﴿وَمَا﴾ للمعيَّة؛ لأنَّه على هذا الوجه يجوز أن يوقف على قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، ومعناه: (فإنَّكم مع ما تعبدون)، أي: (الخبرُ أنَّكم مع قرنائكم، لا تبرحون تعبدونها)[1].

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 65.

نوعُ ﴿مَآ﴾ ودلالتها:

لفظُ ﴿مَآ﴾ في قَوْلِ اللهِ تَعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ نافيةٌ حجازيَّةٌ تعمل عملَ (ليس)، وهي أوسعُ منها استعمالًا، فـ(ليس) مختصَّةٌ بنفي الجمل الاسميَّة، وأمّا ﴿مَآ﴾؛ فتنفي الجمل الفعليَّة والاسميَّة، فإذا دخلت على الجملة الاسميَّة؛ كان نفيها للحال عند الإطلاق، وإذا قُيِّدت؛ كانت بحسب القيدِ، وهي في هذه الآية للحال والاستقبال، فالكفّار وآلهتم ليسوا بفاتنين أحدًا حال الخطاب وفي المستقبل إلّا مَن كتب الله عليه الضَّلال[1]، واختيرت للدَّلالة على عموم النَّفي واستغراق الزَّمن.

فتنةُ الكفّار لا تنال أحدًا على الحقيقةِ لا في الحال ولا الاستقبال

تعيينُ مرجع ضمير ﴿عَلَيۡهِ﴾:

يجوز في الضَّمير المتَّصل في لفظ ﴿عَلَيۡهِ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ أن يكونَ عائدًا إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: 151 - 152]، أو في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، بتضمين (فاتنين) معنى (مُفسدين)، مِن: فتَنَ فلانٌ على الرَّجل امرأتَه، أي: أفسدها، والمعنى: (ما أنتم بمُفسدين أحدًا على الله)، ويجوز أن يعودَ الضَّميرُ إلى الاسم الموصول مِن ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ بمراعاة إفراد لفظهِ، وتكون (على) للتَّعليل والسببيَّة، والمعنى: (ما أنتم بفاتنين أحدًا بالَّذي تعبدونه)، أو يعود الضَّميرُ على (ما) بتضمين (فاتنين) معنى (حاملين)، وبحذف مضافٍ تقديرُه (العبادة)، أي: (ما أنتم بحاملين أحدًا على عبادة ما تعبدون)[2].

تطاولُ الكفرِ لا ينالُ عبادَ الله المخلصين

نكتةُ تقديم شبه الجملة:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ على اسم الفاعل؛ للاهتمام بالضَّمير العائد على الله ﷻ،

الاهتمامُ بالمقدَّم لإظهار مقصود الأفعال

(1) درويش، إعراب القرآن: 08/ 318، والسامرائي، معاني النحو: 4/ 191.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 128، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 190.

أو على ما يعبدون من دون اللّه، فمقصود أفعال المخاطَبين إيقاعُ النّاس في الشِّرك باللّه، كما أشركوا به أنفسُهم، وهذا هو موضع البشاعة والشَّناعة، لكنَّ حلمَ الحليم حال دون قصدهم اللَّئيم.

بلاغةُ التَّضمين في استعمال حرف الاستعلاء:

تضمينُ اللَّفظ معنى آخر إيجازٌ في اللفظ وتكثيرٌ في المعنى

تعدّى اسم الفاعل (فاتنين) في قول اللّه تعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ بحرفِ الجرِّ (على) لتضمين (فاتنين) معنى (مفسدين)؛ إن كان الضَّمير المجرور بها عائدًا إلى اسم الجلالة، كما يقال: أفسد العبدَ على سيِّده، وتكون (على) للاستعلاء المجازيِّ؛ لأنَّ تضمين (مفسدين) فيه معنى الغلبةِ، وإمّا لتضمينه معنى (حاملين) و(مسؤولين)، ويكون (على) بمعنى لام التَّعليل، كقوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: 185]، ويكون بين (على) ومجرورها مضافٌ تقديرُه: (على عبادة ما تعبدون)، والمعنى: (ما أنتم فاتنين أحدًا بالَّذي عبدتموهُ إلّا مَن سبق عليه القدرُ أنَّه يدخل النّار)، وهذا في معنى قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣﴾ [الحجر: 42 - 43]، فلا يتبعهم أحدٌ في دينهم إلّا مَن عرَّض نفسَه؛ ليكون صالِيَ الجحيم[1]، وذهب بعض العلماء إلى أنَّ (على) هنا بمعنى (الباء)، فيكون مِن تناوب الحروف[2]، والقول بالتَّضمين هو الأليق بالكلام الفصيح.

غرضُ الباء في التَّوكيد:

توكيد النَّفي قوَّةٌ في إثبات المطلوب

اقترن خبر ﴿مَآ﴾ في قول اللّه تَعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ بالباء لتوكيد النَّفي المدلول عليه بحرف ﴿مَآ﴾ العاملةِ عمل (ليس)، وقال ابن السَّرّاج: "وقد أدخلوا الباءَ في خبر (ليس) توكيدًا للنَّفي، تقول: ألست بزيدٍ؟ ولست بقائمٍ"[3].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 128، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 190.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 647.
(3) ابن السرّاج، الأصول في النّحو: 01/ 90.

براعةُ استعمال مفردة (فاتنين):

جمع لفظ الفتنة المعنى الأصلي والسياقي بإيجاز بديع

آثرَ النَّظم الكريم استعمالَ مفردة الفتنةِ في قول الله تَعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾، وهو مشتقٌّ من الفتنة، وهي في الأصل اختبار الذَّهب بالنّار لتظهر جودتُه من رداءته[1]، غيرَ أنَّ معنى الفاتن في هذه الآية هو المُضِلُّ والمُفسِد، يقال: فَتَنَ فلانٌ على فلان امرأتَهُ، أي: أفسدها عليه، وأضلَّها، حاملًا إيّاها على عصيان زوجها[2]، واستعمال الفتنة دون الإفساد والإضلال لبيان أنَّ إفسادهم النّاس على دين الله تعالى كان فتنةً شديدةً، لا يصبر عليها إلّا العبادُ المخلصون، فهُم فتنوا النّاس بالمُضِلّات الفعليَّة والقوليَّة، وبأنواعٍ من التَّهديد والوعيد، وألوانٍ من الإغراء الشَّديد، بغرض إفسادهم وإغوائِهم وإضلالِهم.

نكتةُ حذف المفعول:

لا سلطانَ لأحدٍ على أحد في الضَّلال

حُذِفَ مفعول (فاتنين) في قَوْلِ الله تَعالى: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ للعموم، والتَّقدير: بفاتنين أحدًا، والدَّليل على قصد العموم صحَّة الاستثناء بعده في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾، فالاستثناءُ معيار العموم[3]، وفيه إثباتُ أنْ ليس لأحد على أحد سلطان، وليس لمشرك أن يفتنَ أحدًا إلّا بإرادة الله المحضة، فلا يستجيب لفتنتهم إلّا مَنِ اختار النّارَ على الجنَّة.

معنى الاستثناء ونوعه:

ليس لأحدٍ قدرةٌ على إضلال أحد

المستثنى ﴿مَنۡ﴾ في قَوْل الله تَعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ مستثنًى مِن المفعول المحذوف لاسم الفاعل (فاتنين)، الَّذي تقديرُه (أحدًا) الدالُّ على العموم، ويجوز أن يكون لفظ ﴿مَنۡ﴾ هو مفعول

(1) الرَّاغب، المفردات: (فتن).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 135.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 190.

فاتنين، ويكون الاستثناءُ حينئذٍ مفرَّغًا[1]، ومعنى الاستثناء أنَّ الكفار وما يعبدونه لا يقدرون على إضلال أحد من عباد الله إلّا مَن هو مِن أهل النّار، وهم المصرّون على الكفر باختيارِهم وإرادتهم.

(1) درويش، إعراب القرآن: 08/ 318، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 331.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»